محمّد بودية السّنة الأولى ماستر

أستاذ محاضر تخصّص : لسانيات تطبيقية

محاضرات في اللّسانيات وقضاياها

المحاضرة الثّامنة: الاتّجاه التّخاطبي أو التّداولي في اللّسانيات

1- التّداولية مصطلحًا ومفهومًا: مصطلح التداولية هو مصطلح اختاره الباحث المغربي "طه عبد الرحمن " ترجمة للمصطلح الغربي La pragmatique. وقد تُرجم هذا المصطلح إلى مصطلحات عربية أخرى منها: الذّرائعية والنّفعية والمقامية والتّخاطبية . ويُبرّر هذه التّرجمة بقوله: "ومن المعروف أنّ الفعل تداول في قولنا: « تداول الناس كذا بينهم » يفيد معنى « تناقله الناس وأرادوه فيما بينهم »، ومن المعروف –أيضا– أنّ مفهوم النّقل ومفهوم الدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال « نقل الكلام عن قائله » بمعنى رواه عنه، كما يقال « نقل الشيء عن موضعه » أي حرّكه منه ويقال « دار على الألسن بمعنى جرى عليها»، كما يقال « دار على الشيء » بمعنى طاف حوله، فـ « النقل » و « الدوران » يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين أو قل معنى التواصل ويدلاّن في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين أو قل على معنى « الفاعل » فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما: التّواصل والتّفاعل. بمقتضى التداول». إذن أن يكون القول موصولا بالفعل"[1].

وتعتبر التّداولية إحدى الاتجاهات الجديدة التي تعني بدراسة اللغة والبحث في إمكانية الاتصال بين متكلميها، غير أنّ هذا الاتّجاه تجاوز الجوانب

---

[1] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2005،2، ص244.

التّركيبية والدّلالية، التي هيمنت على الدّراسات اللغوية السابقة إلى الاعتناء بالمقام اللّغوي، ومقصد المتكلمين، والظروف الاجتماعية والنّفسية والثقافية التي يدور فيها الخطاب اللغوي، ومدى إمكانية تحقق الفعل اللغوي.

وهي بهذا " تحاول الإحاطة بعديد من الأسئلة، من قبيل:

- من يتكلم والى من يتكلم؟
- ماذا نقول بالضّبط حين نتكلم؟
- ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟
- كيف نتكلّم بشيء ونريد قول شيء آخر؟

ومن ثم تستدعينا التّداولية للإجابة عن هذه الأسئلة إلى استحضار مقاصدنا وأفعال لغتنا، وسياق تبادلاتنا الرمزية، والبعد التداولي لهدف اللغة المستعملة "[2].

والتداولية بهذا المفهوم لا يمكن اعتبارها علما لسانيا محضا، وإن ركّزت على الاستعمال اللغوي، وجعلته غايتها، ذلك أنها تتداخل مع علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والمنطق وعلوم الاتصال، إضافة إلى اللسانيات. ولهذا كان من الصعب إيجاد تعريف دقيق وشامل للتداولية، ونتج عن ذلك جملة من التعاريف منها: " – التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية، وهو نوع من التعريف يحاول أن يوضح جوانب التطبيق اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية.

- التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية...
- التداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع

مقاصد المتكلّم أو هو دراسة معنى المتكلِّم"[3].

حيث يُبْرز هذا التعريف أن فهم المعنى الكلّي لا يمكن الحصول عليه من الكلمات فقط ولا من المتكلّم أو السامع لأنّ عملية إحداثه تتطلب تداول اللغة بين

---

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1986، ص05.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص13.

متكلّم ومخاطب ضمن سياقات متعددة مادية واجتماعية ولغوية. وهذا ما يبّرر استمرار التواصل اللغوي بين طرفي العملية الاتّصالية.

ويرجع الكثير من الباحثين نشأة التداولية بمفهومها الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس" (Charles Morris).الذي اعتبرها إحدى فروع علم السيمياء، وتأتي في المرتبة الثّالثة بعد علم التراكيب وعلم الدلالة "وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمُفسريها"[4].

ولكنّ التداولية لم تكتمل علميتها إلاّ بعد أن طوّرها ثلاثة أعلام يبحثون في فلسفة اللغة، وينتمون إلى جامعة أكسفورد وهم: أوستن J.L. Austin. وسيرل J.R.Searche وجراس H.P.Grice.

---

[4] المرجع نفسه، ص09.